

وكان شمسُ الدِّينِ علي بن الدَّايةِ في قلعة حلب حاكماً عليها هو وأخوه مجد الدين أبو بكر وسابق الدِّينِ عثمان، وكانوا أعزَّ النَّاسِ على نور الدين، وكان مجد الدين [أبو بكر رضيع نور الدين]<sup>(١)</sup> وكانت شَيْزَرُ لشمس الدِّينِ علي، وقلعة جَعْبَر وتل باشر لأخيه سابق الدِّينِ عثمان، وحارم لبدر الدِّينِ حَسَنَ أخيهم، وكان نور الدين قد أسكنهم معه بقلعة حلب، ولا يَصُدُّرُ إلا عن رأيهم، فلما مات نور الدين لم يشكُّوا أنَّهم أحقُّ بتربية ولده من غيرهم، وكان أوجههم شمسَ الدين [عليّ، وكان بالقلعة معه شاذبخت الخادم، فلما وصل سيف الدين إلى الفرات أرسل شمسُ الدين]<sup>(٢)</sup> إلى دمشق يطلبُ الملك الصَّالح ليدفع به سيفَ الدِّينِ، فقالوا: إنَّ سَيَّرْتَمُوهُ إليه استولى على تربيته، فاعتذروا إليه، وأقام الصَّالح بدمشق تمام هذه السَّنة.

### أبو شجاع الطوابيقي البغدادي<sup>(٣)</sup>

شاعر فصيح، أقام بالموصل، ومدح أكابرها، ومن شعره: [من الكامل]

أصبحت تُخرجنني بغير جنايةٍ      من دار إعزازٍ لدار هَوَانِ  
كدم الفِصَادِ يراقُ أرذلَ موضعٍ      أبداً ويخرجُ من أعزِّ مكانِ  
إنَّ لم يخلِّصني الوِصالُ بجاهه      سأموتُ تحت عقوبة الهَجْرانِ<sup>(٤)</sup>

### السَّنة السَّبْعون وخمس مئة

[قال جدي رحمه الله: في هذه السنة انتهى تفسيري للقرآن على المنبر، فإني كنتُ أذكر في كل مجلس منه آيات، ففرغت في هذه السنة، وسجد على المنبر شكراً لله تعالى، وقال: ما أعرف واعظاً غيري فسَّر القرآن كله على المنبر إلا أنا<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ح): وكان مجد الدين رضيعه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ج ١/٣١٨-٣٢٢، و«فوات الوفيات»: ٣/١١٩-١٩٢. وفيه القاسم بن الحسين أبو شجاع بن الطوابيقي - «الوافي بالوفيات»: ٢٤/١١٨-١١٩، ووفاته في الفوات والوافي سنة (٥٩٦هـ)، وإخاله وهماً.

قال ابن الأثير في اللباب: ٢/٢٨٧ هذه النسبة إلى الطوابيقي، وهي الأجر الكبار الذي يفرش في صحن الدار.

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/٣٢٢، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٥) «المنتظم»: ١٠/٢٥١.

## فصل:

وفيها سلّمت إليّ المدرسة التي بباب الأزج، وكانت دار الوزير ابن جَهير، وكانت بنفسها جهة الخليفة المستضيء قد اشترتها وأوقفها على أصحاب أحمد ابن حنبل، وفوضت أمرها إليّ، وأوقفت عليها قرية، وحضر درسي قاضي القضاة والحاجب وأرباب الدولة، وخُلع عليّ خِلعاً نفيسة، وذكرتُ دروساً كثيرة، وكان يوماً مشهوداً، وخرجتُ وبين يدي الدُّعاة، وارتفعتِ الأدعية للخليفة، ووقفتِ الناسُ صفوفاً مثل يوم العيد.

قال: وأصاب أهل المذهب - يعني الحنابلة - من ذلك غم عظيم، لأنّهم حسدوني، وجلستُ تحت المدرسة في شَوال يوم الأربعاء، فكان الجمع زيادة على خمسين ألفاً، فازداد غمُّ أهل المذهب<sup>(١)</sup>.

وكان جدي يقول: والله لولا أحمد والوزير ابن هُبيرة لانتقلت عن المذهب، فإنّي لو كنتُ حنفيّاً أو شافعيّاً لحملني القوم على رؤوسهم<sup>(٢)</sup>.

وفيها أعاد المستضيء أبا الحسن الدَّامغاني الحنفي إلى قضاء القضاة ببغداد.

وفيها أمر الخليفة أن يُخلع على رئيس الرؤساء خِلع الوِزارة، وكان قطب الدِّين قيماز عدوّه، فأغلق أبواب دار الخليفة، ومَنع من ذلك، فأرسل الخليفة إليه صندل المقتفوي يعينه، فلم يلتفت، وقال: إما أنا وإما ابن رئيس الرؤساء؛ لا يقيم معي في بلد. فقبل للوزير: اعبر إلى الجانب الغربي، وأقم لنظر في الأمر، فعبر.

وفيها كانت فتنة قُطب الدِّين قيماز المذكورة، وكان قد طمع في الدَّولة واستطال، واستقلَّ بالأمر، فلم يبق معه للخليفة حُكم، وكان قد تزوّج أخت الأمير تتامش، واتَّفقا على الدَّولة، وكانت العساكر بحكمهما وهما ساكنين في دار الخلافة، ومعهما مفاتيح أبواب الدار.

وكان تتامش قد استولى على واسط والبصرة، وبعث نوابه فصادروا النَّاس، ونهبوا أموالهم، فجاء منهم جماعة إلى بغداد، فدخلوا جامع القُصر، واستغاثوا، وكسروا المنبر، ومنعوا الخطيب من الخطبة، فبعث الخليفة إلى قطب الدين وتتامش فناهما،

(١) المنتظم: ٢٥٢/١٠ - ٢٥٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال: هذه شناعةٌ قبيحة. فلم يلتفتا، فبعث إليهما صندل، فأغلظا له، وكان ظهير الدين ابن العطار صاحبَ المخزن، فبعث قطبُ الدين إلى الخليفة يقول: اعزله. فقال: بالأمس عزَلنا الوزير واليوم نعزل صاحبَ المخزن، فمن يقوم بخدمتنا؟ فركب قطبُ الدين وتماشى والعساكر، وأظهر العُصيان، وأغلقت أبواب دار الخليفة، وكان ابنُ العطار ساكناً في الدار، فقصد داره، فهرب إلى باب الحجرة، فنهباها، وأحرقاها، فغضب الخليفة، وبعث أستاذ الدار وصندل في عسكرٍ لقتالهما، فاقتتل الفريقان على باب دار قطب الدين، فلم يقدر صندل عليه، فأرسل إلى الخليفة يستمده، فصعد الخليفة على منطرة الریحانيين، فظهر للناس، وقد اجتمع أهل بغداد تحت المنطرة، وقال: يا أهل بغداد، أنا خليفتمكم، وقد عصى عليّ قيماز، وكفر نعمتي، وظلم رعيتي، واستحل ما حرّم الله تعالى، المال مالكم، والدم لي. فثارَت العامة، وقصدوا داره ينادون: الخليفة يا منصور، وسمع قيماز الصّجيج فقال: هذا الصّياح لنا أو علينا؟ فقالوا: علينا. فقال: هلكننا وربّ الكعبة. وحمل العوام على أصحابه فطحنوهم، وضربوا بواباته بقوارير النُّفط، فأحرقوه، وأحرقوا جماعةً من أصحابه، ودخلوا داره، فهرب هو وتماشى من باب السّر في نفرٍ يسير، والعامة خلفهم بالآجر والنشاب والمقاليع، وعبراً على عقد المصطنع، وهناك هراس يقال له ابن النجيل، فضرب قطبُ الدين بالمعركة، وقال له: يا مارق.

ودخلت العامةُ الدار، وكان قطبُ الدين قد بسط الأنطاع، وصبَّ عليها المال والجواهر واليواقيت وأطواق الذهب والخلع وأموالاً لم تكن عند الخلفاء ولا الملوك، فنهبوا الجميع بحيثُ إن العوام كانوا يدخلون المطبخ والقُدور بحالها، فيرمي الواحد في القدر المال في الأكياس، ويخرج بها، فاستغنى أهلُ بغداد، ونادى الخليفة آخر النهار برفع النَّهب، وعزَل نساءهم وحرمهم في دُور، ووكل بهم بعض الخدم يحفظهم ويقوم بأمرهم، وحبس الأمراء والجند الذين وافقوهم، وأخذت أموالهم.

وأما قطب الدين وتماشى فهربا إلى الموصل، فمات قطب الدين بظاھرھا، وقيل بتل أعقر<sup>(١)</sup>، وغسل في سقاية، ولم يوجد له كفن، وكان معه جماعةٌ من الأمراء؛

(١) وهي المعروفة بتل يعفر كذلك، بين سنجار والموصل، انظر «معجم البلدان»: ٣٩/٢.

منهم حسام الدين تيمرك، فجاء إلى الشام، فأكرمه صلاح الدين، وأقطعه الإقطاعات، وكان عماد الدين صاحب سنجار قد نهبهم.

واستوزر الخليفة عضد الدين ابن رئيس الرؤساء، وخالع [عليه خلع الوزارة]<sup>(١)</sup>.

وفي آخر صفر توجه الملك الصالح إلى حلب مع كُشتيكين خادم أبيه، وكان نائباً بقلعة الموصل<sup>(٢)</sup> لنور الدين، فلما مات نور الدين هرب من سيف الدين إلى حلب، واتصل بخدمة أولاد الداية، فأرسلوه إلى دمشق ليحضر الملك الصالح، فأحضره في صفر، فكان مقامه بدمشق بعد وفاة أبيه خمسة أشهر، ولما دخل حلب كان معه إسماعيل الخازن وأبو صالح بن العجمي، فحسن له ابن العجمي قبض أولاد الداية، فأمر كُشتيكين، فقبض عليهم، وحسن له قبض ابن الخشاب مقدم الشيعة، فقبض عليه.

وكان عقيب موت نور الدين قد جرت بحلب فتنة بين الفريقين، قتل من السنة والشيعة خلق عظيم، واجتمعت الشيعة بدار ابن الخشاب، ونهبت دور بني العجمي ودور بني عَصْرُون.

وقيل: إن هذه الفتنة وقعت عند دخول الملك الصالح حلب، فاستدعي الخشاب إلى القلعة، فاعترضه جرديك، فقتله، ورمى برأسه إلى البلد، فسكنت الفتنة.

وبلغ [ابن]<sup>(٣)</sup> المقدّم والأمرء بدمشق ما فعل بأولاد الداية، فكاتبوا سيف الدين صاحب الموصل ليسلموا إليه دمشق، فخاف أن تكون مكيدة، فتوقف، وكاتبه الشيعة أيضاً ليسلموا إليه حلب، فأقام يتروى، وكان قبض بني الداية، وقتل ابن الخشاب سبباً لفساد أمر الملك الصالح.

(١) في (ج): وخالع هو الذي قصده قطب الدين، وما بين حاصرتين زيادة من عندنا مستفادة مما في «المنتظم» ٢٥٤/١٠، وأما قوله: «هو الذي قصده قطب الدين» فأخاها: وهو الذي قصده قطب الدين، «وهو» زيادة من ناسخ أو قارئ زيدت في الهامش، ثم أدخلت في المتن، فمن ثم أشرت إليها، ولم أثبتها، والله أعلم.

(٢) في (ج): دمشق، وهو تحريف، والصواب ما أثبتته، انظر كتاب «الروضتين»: ١٦٨/٢، ٣٢٥ بتحقيقي.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ثم إنَّ الصَّالح ضَيَّقَ على بني الدَّاية، وطلب منهم تسليم الحصون التي بأيديهم، وبلغ صلاح الدِّين، فشَقَّ عليه، وخاف افتراق الكلمة، واستيلاء الفرنج على الشَّام، فكَاتَبَ ابنَ المقَدَّم والأمرءَ ينكر عليهم اجترأهم عليه وعلى الدَّولة، وقال: أولاد الدَّاية هم أركانُ الدَّولة، والله لئن لم يُطْلَقوا لأسيرنَّ إليكم، ولأبددنَّ سَمْلَكُم. فكتَبَ إليه ابنُ المقَدَّم: لا تجعل هذا سبباً لطمعك في البلاد، وأن تستولي على بيت أستاذك، وإيَّاك هذا. فغَضِبَ صلاحُ الدين، وتجهَّزَ إلى الشَّام، فبلغه وصولُ أسطول من صِقْلِيَّة إلى الإسكندرية، فخاف على البلاد، وأقام، فوصل الأسطول، وفيه ستُّ مئة قطعة، فيها من الحَيَّالة ألف وخمس مئة، ومن الرِّجَّالة ثلاثون ألفاً ومعهم الأبراج، ومن المجانيق والدَّبَّابات وآلة الرِّحْف، فنزلوا جزيرة الإسكندرية، وصعدوا بأسرهم، وزحفوا على البلد، وألصقوا الأبراج بالأسوار، ونصبوا السَّلام، ففتح المسلمون الأبواب، وخرجوا إليهم، وركب جماعةً في الشخاتير نحو سفنهم، فحسفوها وغرَّقوها، وضربَ المسلمون مَنْ كان في الجزيرة بالنُّقْط، فانهزموا، وغرِقَ منهم أكثر ممن قُتِلَ، ولم ينبُجْ منهم إلا القليل، وقيل: كان ذلك في سنة إحدى وسبعين.

وفيها ملك صلاحُ الدين دمشق، لما انقضت نوبةُ الأسطول سار إليها بعساكره، وكان ابنُ المقَدَّم والقاضي كمال الدين بن الشَّهْرُزُوري وابن الجاولي والأعيان قد كاتبوه، وكان بالقلعة رِيحانُ الخادم، فعزَّم على قتاله، فجهَّزَ إليه عسكر دمشق، وركب صلاحُ الدِّين من جسر الخشب<sup>(١)</sup>، والتقاء أهل دمشق بأسرهم، فأحدقوا به، فنثرَ عليهم الدِّراهم والدَّنَانِير، ودخَلَ دمشق، لم يُغْلَقْ في وجهه باب، ولا منعه مانع.

وقال القاضي [الفاضل]<sup>(٢)</sup>: فملكنا دمشق عنايةً لا عَنوَةً، ولم نَخْطُ بحمد الله إلى خطيئةٍ خُطوة، وما جَرَتْ منا مِنسأةٌ فتجري فيها أسوة، وكان عسكر دمشق لما رأوا فعل العوام انكفروا راجعين إلى القلعة، ونزل صلاحُ الدين بدار العقيقي، وكانت دار أبيه، ونزل أخوه شمس الدَّولة بدار عمه أسد الدين [شيركوه]<sup>(٢)</sup>، وتمنعتِ القلعةُ عليه أياماً، ثم سلَّمها إليه ريحانُ [الخادم]<sup>(٢)</sup>، وأحسن صلاحُ الدِّين إلى ابنِ المقَدَّم والقاضي

(١) في (ح): الجسور، والمثبت من «الروضتين»: ٣٤١/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[ابن] <sup>(١)</sup> الشهرزوري، ومشى إلى داره، فانزعج القاضي، وخرج إلى لقائه، ودخل صلاح الدين، فجلس وبأسطه، وقال: يا كمال الدين لما كنت في الشحنة قد كانت بيننا هنات ومشاحنات، وما مشيت إليك إلا لأزيل ما في خاطرك من الوهم، وأعرفك أن ما في قلبي لك ما تكره، فطب نفساً وقر عينا، فالأمر أمرك، والبلد بلدك.

قلت: ومشي صلاح الدين إلى دار كمال الدين من أحسن ما يسطر في السير، وهو دليل على تواضعه وعفوه بعدما قدر، فيا طوبى لمن جاء بعده إن فكّر واعتبر، وعرف قدر إنعام الله عليه فحمد وشكر، وأكثر الشعراء في أخذ صلاح الدين دمشق <sup>(٢)</sup>.

وقال سبيع بن خلف الأسدي: [من البسيط]

لله أنت صلاح الدين من أسدٍ رأيت جلق ثغراً لا نظير له نادتك بالذل لما قل ناصرها أحييتها مثل ما أحييت مضر فقد هذا الذي نصر الإسلام فاتضح ويوم شاور والإيمان قد هزمت أبت له الضيم نفس مرة ويد يستكثر المدح يتلى في مكارمه فهو الجواد ولكن لا يقال كبا وهو الهزبر ولكن لا يقال طغا فأنت إسكندر الدنيا ووارثها

أدنى فريسته الأيام إن وثبا فجيئتها عامراً منها الذي حربا وأزمع الخلق من أوطانها هربا رذذت من عدلها ما كان قد ذهباً سبيله وأهان الكفر والضلبا جيوشه حيث كان الجحفل اللجبا فعالة وفؤاد قط ما وجبا زهداً ويستصغر الدنيا إذا وهبا وهو الحسام ولكن لا يقال نبا وهو الضرام ولكن لا يقال خبا فاقصد ملوك خراسان ودع حلبا <sup>(٢)</sup>

ثم إن صلاح الدين أسكن أخاه سيف الإسلام طغتكين قلعة دمشق، ثم كتب إلى الملك الصالح [ابن نور الدين] <sup>(١)</sup> كتاباً يتواضع له فيه، ويخاطبه بمولانا وابن مولانا، ويقول: إنما جئت من مضر خدمة لك لأؤدي بعض ما يجب من حقوق المخدوم

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) القصيدة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٤٢/١-٢٤٤، وسبيع بن خلف هو المعروف بوحيش الأسدي.

المرحوم، فلا تسمع ممن حولك فتفسد أحوالك، [وتختلُ أمورك]<sup>(١)</sup>، وما قَصْدِي إلا جَمْعُ كلمة الإسلام على الفرنج.

فعرض كتابه على أرباب دولته، وفيهم خالد بن [محمّد]<sup>(١)</sup> القيسراني، وغلّمان أبيه، وابن العجمي، فأشاروا عليه بأن يكاتبه بالغلظة، فكتب إليه يُنكر عليه، وينسبُه إلى كُفران النعمة وجحدِ إحسانِ والده، ووعدّه وتهدّده، وبعثَ بالكتاب مع يتال بن حسان صاحب منبج، فأغظ لصلاح الدّين في الجواب، وقال: السُّيوف التي ملكتكَ مضر هي التي ترُدُّك. وأشار إلى سيفه، فعَضِبَ صلاحُ الدّين وقال: ويلك، والله لولا أنّك رسولٌ لضربت عُنُقك، والله ما جئتُ إلى ها هنا شرّها ولا طمعاً في الدّنيا، وفي مضر كفايةً، وإنما جئتُ لاستنقذ هذا الصّبيّ من يد مثلك وأمثالك، فأنتم سببُ زوال دولته. ثم طرده بغير جواب، فعاد إلى حلب.

واستتاب صلاحُ الدين بدمشق أخاه [سيف الإسلام ظهر الدين]<sup>(١)</sup> طُغتكين، وسار إلى حمص، فأخذها، وفتح حماة، وسار إلى حلب، فاستغاثوا عليه بالإسماعيلية، وأعطوهم مالاً وضياعاً، فأرسلوا إليه جماعةً من قُتاكهم، ورآهم ناصر الدين حمارتكين صاحب أبي قبيس، فعرفهم، [لأنّه كان مثاغراً لهم]<sup>(١)</sup>، فأنكر عليهم مجيئهم، وسبَقَ إلى خيمة صلاح الدين ليخبره، فأدركه على باب الخيمة، فقتلوه، ثم أرادوا الهجوم على صلاح الدين، فجذب أمير جنّداره سيف الدين طغريل السيف، وقتل واحداً منهم، واجتمع الغلمان على الباقيين، فقتلوهم.

ورحل صلاحُ الدين عن حلب في أول رجب، وجاء إلى حمص، ثم نازل بعلبك، فأخذها في رمضان من الخادم يُمْن الرّيحاني، ووصل عسكر الموصل إلى حلب، وانضاف إليهم عسكرها، ونزلوا تلّ السُلطان، فساق عليهم صلاحُ الدين وبعثتْهم، وكان مقدّمهم عزّ الدّين مسعود أخو سيف الدين غازي. فكسرهم كسرةً عظيمةً، وانهزموا إلى حلب، وغنمَ أثقالهم وأسَرَ أبطالهم، وجاء وحاصر حلب، وهذه هي المرة [الثانية، والمرة]<sup>(١)</sup> الأولى من كسرة المواصلة.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ورجع صلاحُ الدين، فنازل حِصن [بارين]<sup>(١)</sup>، فأخذه من فخر الدين مسعود بن الرِّعْفَرَانِي، وكان من أكابر أمراء نور الدين، وأعطى مدينة حماة لخاله، وقيل: لابن خاله وصهره ابن شهاب الدين محمود، وأعطى حِمص لناصر الدين محمد بن شيركوه، وجاءته رُسُل حلب، واتفق الحال أن يكون بدمشق نائباً عن الملك الصَّالح، فأجابهم، وشفع في بني الدَّاية، وقال: لا بُدَّ منهم، فلهم علينا حقوقٌ أكيدة، فقالوا: نَعَمْ، وفارقه على ذلك، وجاءته الخلع والتَّشريفات من الخليفة ولأهله، ولقَّب بالملك النَّاصر.

وفيها وصلتِ النَّبوية<sup>(٢)</sup> من العراق في عشرة آلاف فارس وراجل، فنزلوا بُزاعة والباب، فقتلوا ثلاثة عشر ألفاً من الإسماعيلية، وسبوا نساءهم وذريتهم، وعادوا إلى العراق، ومعهم الغنائم، والرؤوس على رماحهم، وعلى القصب عشرون ألف أذن.

وبعث صلاح الدين العساكر، فأغاروا على بلاد الإسماعيلية، وأحرقوا سَرْمِين ومعرّة مصرين و[ضياح]<sup>(١)</sup> جبل السَّمَّاق، وقتلوا مُعظم أهله.

وفيها استخدم صلاحُ الدين العمادَ الكاتب؛ وسببه أنَّه التقى الفاضل على حِمص، ومدحه بأبياتٍ منها: [من الكامل]:

عَايَنْتُ طَوْدَ سَكِينَةٍ وَرَأَيْتُ شَمًّا	سَسَ فُضَيْلَةٍ وَوَرَدْتُ بَحْرَ فَوَاضِلِ
وَرَأَيْتُ سَحْبَانَ الْبَلَاغَةِ سَاحِبًا	بَبِيَانِهِ ذَيْلَ الْفَخَّارِ لَوَائِلِ
حَلَفَ الْحِصَافَةَ وَالْفِصَاحَةَ وَالسَّمَا	حَةَ وَالْحِمَاسَةَ وَالتُّقَى وَالتَّنَائِلِ
بَحْرٌ مِنَ الْفَضْلِ الْغَزِيرِ خِضْمُهُ	طَامِي الْعُبابِ وَمَالُهُ مِنْ سَاحِلِ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَعَجِّلُ جَرِيئُهُ	مَا كَانَ مِنْ أَجْلِ وَرِزْقِ أَجْلِ
أَبْصَرْتُ قُسًا فِي الْفِصَاحَةِ مَعْجَزًا	فَعَرَفْتُ أَنِّي فِي فَهَاهَةِ بَاقِلِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) إخالها نسبة إلى النبي ﷺ، وهي فرقة ذكرها ابن جبير في «رحلته»، فقال: هم سنون يدينون بالفتوة وأمور الرجولة كلها، وكل من ألحقوه بهم لخصلة يرونها فيه يجزموه بالسراويل، فيلحق بهم.. وإذا أقسم أحد منهم بالفتوة برَّ قسمه، وهم يقتلون الروافض أينما وجدوهم، وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف. انظر رحلة ابن جبير: ٣٥٣، وقد أخطأ محققه حين ظنها منسوبة إلى أبي البيان نبأ بن محمد، فهذه فرقة صوفية لا علاقة لها بتلك.

من أبيات<sup>(١)</sup>.

فدخل الفاضل على صلاح الدين، وقال له: غداً تأتيك تراجم الأعاجم، وما يحلُّها مثل العماد. فقال: ما لي عنك مندوحة، أنت كاتبني ووزيرني، وقد رأيتُ على وجهك البركة، فإذا استكتبْتُ غيرك تحدَّثَ النَّاسُ، فقال [الفاضل]<sup>(٢)</sup>: هذا يحلُّ التراجم، وربما أغيَّبُ أنا ولا أقدر على ملازمتك، فإذا غبْتُ قام مقامي، وقد عرفتُ فَضْلَ العماد وخدمته للدولة التُّورية. فاستكتبته.

وفيها استوزر<sup>(٣)</sup> سيفُ الدين غازي صاحبُ الموصِل جلالَ الدين أبا الحسن علي بن جمال الدين الوزير الأصبهاني، فظهر منه من الكفاية والنهضة وحسن التدبير والكتابة ما لم يكن في أحد، وكان عمره خمساً وعشرين سنة.

وفيها توفي أرسلان شاه<sup>(٤)</sup> بن طغرل بن [محمد بن]<sup>(٥)</sup> ملك شاه، وجلس بعده في المُلْك ولده طغرل شاه، وكان صغير السن، والذي تولى أمره محمد بن إلكز أتاك، ويلقب بالبهلوان، فأقام بهمدان يدبّر الأمور، وبعث أخاه الغزلي، فاستولى على أذربيجان، وبعث البهلوان يطلب من الخليفة السلطنة لطرغرل، فطرّد رسوله، ولم يلتفت إليه.

### شملة التركماني<sup>(٦)</sup>

كان قد غلب على بلاد فارس وخرزستان، وبنى بها قلاعاً، وقوي على السلجوقية، وكان يُظهر طاعة الخليفة مخادعةً منه، فأقام كذلك نيفاً وعشرين سنة، وكان يباشر الحروب بنفسه، قصده تركمان، فخرج بنفسه، وقاتلهم، فجاءه سهم، فمات بعد يومين.

(١) انظر «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٣٧/١-٣٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ذكر ابن الأثير وزارته في سنة إحدى وسبعين، انظر «الباهر»: ١٧٧ و«الروضتين»: ٤١٩/٢-٤٢٠.

(٤) له ترجمة في تاريخ دولة آل سلجوق: ٢٧١-٢٧٥ - وفيه وفاته سنة (٥٧١هـ) - والعبر للذهبي: ٢١٧/٤،

و«الوافي بالوفيات»: ٣٤٤/٨، و«شذرات الذهب»: ٢٤٤/٤، وفيها وفاته سنة (٥٧٣هـ).

وكان القائم على دولته زوج أمه شمس الدين إلكز، ثم ابنه البهلوان.

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ دولة آل سلجوق: ٢٧١.

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥٥/١٠، و«الكامل» لابن الأثير: ٤٢٣/١١-٤٢٤، و«الوافي بالوفيات»:

١٨٦/١٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٤/٢١-٦٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وأقام أولاده في قلاع خوزستان إلى أيام النَّاصر بن المستضيء، فبعث إليهم وزيره ابن القَصَّاب، فأخرجهم من البلاد، واستولى على ثلاثين قلعة، وبعث بأولادهم إلى بغداد، فأقاموا بها حتى ماتوا.

### علي بن أحمد بن أحمد<sup>(١)</sup>

أبو الحسن البغدادي، ويُعرف بِقَبْلَةِ الأدب، ومن شعره: [من الخفيف]  
يا زماناً خلا من النَّاسِ واستأً صَلَ بِالْقَلْعِ شَأْفَةَ الأحرارِ  
ليتني متُّ إذ حَلَلْتُ بواديـ كَ فَقَدِ عَيْلَ من أذاكِ اضْطَباري  
حسبي الله لا سواه فما أبـ عَدَّ خيراً يُرْجى من الأشرارِ

### عمر بن محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup>

أبو شجاع البَسْطامي، البَلْخي.

كان فقيهاً فاضلاً، [شاعراً، ذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وقال: كان ينشد

في مجالس وعظه]<sup>(٣)</sup>، ومن شعره: [من الطويل]

وجرَّبْتُ أبناءَ الزَّمانِ بأسرهم فأيقنْتُ أَنَّ القُلَّ في عَدَّهم كُثْرُ  
وَحُبْرُ طُغْواهم ولوْمِ فِعْالهم فلما التقينا صَغَرَ الحَبْرَ الحُبْرُ<sup>(٤)</sup>

وقال: [من المتقارب]

لقد هبَّتِ الرِّيحُ مِنْ بَلَدتي فيا حُبَّ ساكنِ ذاكِ البَلَدِ  
فقمْتُ إليها وعانقْتُها وما عانقَ الرِّيحَ قبلي أحدُ<sup>(٤)</sup>

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد»: ٢٤-٢٦.

(٢) له ترجمة في الأنساب: ٢/٢١٤، «خريدة القصر» قسم شعراء أصبهان: ٢/١٠٨-١٠٩، «إنباه الرواة»: ٢/١٠٢، «طبقات الشافعية»: للسبكي: ٧/٢٤٨-٢٥٠، «العبر» للذهبي: ٤/١٧٨-١٧٩، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٤٥٢-٤٥٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته. وفيها وفاته سنة (٥٦٢هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ٢/١٠٩.

[قلْتُ] <sup>(١)</sup>: من ها هنا أخذ القائل، ولعله أخذه من قول القائل: [من مجزوء البسيط]  
 هَبَّتْ شمالاً فقال يا بَلَدُ أنتَ به طاب ذلك البَلَدُ  
 وَقَبَّلَ الرِّيحَ من صَبَابَةٍ ما قَبَّلَ الرِّيحَ قَبْلَهُ أَحَدٌ  
 يحيى بن جعفر <sup>(٢)</sup>

أبو الفضل، زعيم الدّين.

صاحب مخزن المقتفي والمستنجد والمستضيء، ناب في الوزارة، وما زال يتقلّب في الأعمال نيفاً وعشرين سنة، وكان حافظاً للقرآن، فاضلاً عادلاً، منصفاً، مُحباً للعلماء والصّالحين، وداره مأوى لهم، [وكان يحبُّ جدّي رحمه الله، وكان يأذن للعوام في حضور المجلس، وله فيه مدائح كثيرة، وله على جدي فضل كثير] <sup>(١)</sup>، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في ربيع الأول، وُصِّلِي عليه بجامع الخليفة، وكان يوماً مشهوداً لم يتخلّف عن جنازته أحدٌ إلا الخليفة، وحمل إلى محلّة الحربية، فدفن في تُربة أبيه، [وكان ثقة صدوقاً، والله أعلم] <sup>(١)</sup>.

قال العماد الكاتب: جلس يوماً بالديوان في نيابة الوزارة عن الإمام المستضيء، فقام جمال الدّين بن الصّفي، فأنشده: [من الطويل]

لكلِّ زمانٍ من أمائل أهلِهِ برامكةٌ يمتارُهُمُ كلُّ مُعْتَرٍ  
 أبو الفضل يحيى مثل يحيى بن خالد ندى وأبوه جعفرٌ مثل جَعْفَرِ  
 فقام باشت الواعظ البغدادي، فأنشد بديهاً: [من الطويل]

وفي الجانبِ الشّرقي يحيى بنُ جعفرٍ وفي الجانبِ الغربيّ موسى بن جَعْفَرِ  
 فذاك إلى الله الكريم شفيعنا وهذا إلى المولى الإمامِ المُظهِرِ  
 يعني أن يحيى بن جعفر صاحب هذه الترجمة كان يسكن الجانب الشّرقي من بغداد، فهو يشفع لنا إلى الإمام المستضيء بأمر الله، وموسى بن جعفر الصادق - رحمة الله عليهما - مدفون بالجانب الغربي، يشفع لنا إلى الله تعالى.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥٦/١٠.